

ا تَعَالَى رَازِقُ الْخَلْقِ جَمِيعاً



ا تبارك وتعالى هو الرزاق، فالثمرة التي تأكلها إنما تكونت ونمت بقُدرة ا تبارك وتعالى؛ ولم يكن الفلاح الذي اعتنى وفتّحَ من دورٍ إلا أنَّهُ كان وسيلةً لذلك. وهذه الغابات تنمو أشجارها وتسبق دون فلاح، والحيوان الذي تذبح هبّاءً ا تَعَالَى الطُروف لتكوينه وولادته ونموّه ولم يكن للراعي دورٌ سوى أنَّهُ كان وسيلةً لذلك. وهذه الحيوانات كلها في البرية تكاثرت وتناسلت دون راعٍ من الناس لها.

فالطعام الذي يجلبه الأب لأولاده لم يكوّنهُ أو ينمّيه الفلاح إنما نَمّا وأثمرَ بقُدرة ا تَعَالَى ومشيئته، ولو شاءَ لم يُثمر. وكَم سمعنا عن الجوائح التي تُصيبُ المزروعات كالآفات الزراعية والفيضانات والجفاف، ولو كان الأمر بيد الفلاح وقدرته لما شاءَ ذلك؛ قال ا تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذاريات/ 58).

إنَّ رَزَقَ ا تَعَالَى لعباده يتمثّل في خلق الأسباب للرزق وتيسيرها للخلق وإبعاد الموانع من تحصيل الرزق. فإذا كان الأمر من أوّل تكوين الرزق إلى الحصول عليه كان بمشيئة ا وتديره؛ فالواجب على الإنسان أن يشكر ا تبارك وتعالى على ما يُكرمه من الرزق الذي به حياته. قال ا تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّكُمْ كُنتُمْ مِنْ عِبَادِهِ تَعْبُدُون) (البقرة/ 172).

- ا رازقُ الخلق جميعاً:

إنَّ التأمّل في المخلوقات المحيطة بالإنسان من حيوانات وطيور وحشرات يرى أنَّ لكلٍّ منها نظاماً غذائياً فريداً تتعدّاه إلى غيره. إنّها تنطلق بدافع فطري إلى البحث عن غذائها الذي تصل إليه بيُسْرٍ وسهولة لتجد أنَّ الكائن الواحد يتغذّى على نفس الغذاء الذي يتناوله أفراد جنسه والذي يحدد له هذا النوع من الغذاء دون غيره هو الفطرة التي فُطِرَ الخلقُ عليها. قال ا تَعَالَى: (وَمَا مِنْ

دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) (هود/ 6).

- ا يرزق في كل لحظة وحين:

يتحمل الإنسان مرارة الجوع والعطش حتى إذا وجد حاجته سارع ليعب منها ويُسْتَزِيد. وقد يحمل الجوع الماضي أو الشرّ الحاضر أو الخوف من المستقبل المبني على ضعف اليقين قد يحمل المرء على التزوّد مما يحتاج إليه. وقد يزيد حرصه ليسوّّل له أن يدّخر ويبخل على غيره؛ وقد فاته أن الذي يرزقه اليوم قادر جلّ وعلا على أن يرزقه غداً وأن الإنسان طالما أن له رزقاً مكتوباً فهو باقٍ وحي وأن الإنسان لا يموت من انقطاع الرزق وإنّما يكون من انقضاء رزق نفسه.

وليس من الضرورة أن يكون ما في البيت هو رزقك لك وأنت ترى أن الذي يموت قد يكون في بيته من الطعام ما يكفيه مدّة ولكن ما كتب له من الرزق قد استنفد.

لقد جعل ا تبارك وتعالى معلّماً مذكّراً بهذه الحقيقة حقيقة التوكل على ا في الرزق في هذه الدواب التي تملأ الأرض حولنا في باطنها وعلى ظهرها وفي جوّها؛ لا تحمل رزقها أينما ذهبت، كما يفعل الإنسان، ثقةً منها بأن ا تبارك وتعالى كما رزقها سابقاً سيرزقها لاحقاً. قال الحقّ جلّ وعلا: (وَكَأَيُّ يَوْمٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) (العنكبوت/ 60).

- لا رازق مع ا تعالى:

يستبشر الفلاح كثيراً حينما يرى المطر الغزير يهطل على أرضه إذ يرجو بعد ذلك محصولاً وافراً يضمن له عاماً خصباً. ويلفت القرآن الكريم نظر الإنسان إلى أن السماء وما ينزل منها، والأرض وما يخرج منها إنّهما إلهما لا وسائل ووسائل للرزق ا تعالى، فلا تقف المسألة عند حدود مطر ينزل، وأرض تنبت، وإنّما الأمر غير ذلك. مَن جعل هذا الماء المالح الملوّث في البحر يتبخّر عذباً نقياً ويهطل صيباً نافعاً؟ ومَن جعل في هذه الأرض الميتة القدرة على امتصاص الماء وإخراج النبات؟ إنّ ا الخالق الرزّاق.

فا تبارك وتعالى يرزق الخلق وحده، لا رازق سواه رازق معه؛ لأنّه تعالى، جلّت قدرته لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء حتى يحتاج إلى من دونه. قال ا تبارك وتعالى: (هَلْ مِّنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (فاطر/ 3).

وإذا كان الأمر أنّه لا رازق مع ا تعالى، فكذلك يُمنع من رزق ا أحد. فكما أنّه لا يقدر أحد أن يأتينا برزق لم يكتبه ا لنا، فكذلك لا يقدر أحد أن يمنع عذاباً رزقاً قد كتبه ا تعالى لنا. ويؤيد هذا ما ورد في حديث رسول ا (ص): "واعلم أن الأُمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه ا لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه ا عليك".

- الأمر بطلب الرزق من ا تعالى:

وحيث تبين أن الرازق هو ا تعالى وأن المخلوقات ما هي إلاّ وسائل أو وسائط لتحصيل الرزق؛ فلا بدّ للإنسان من التماس الشيء من مصدره وهو هنا أن يطلب من ا تبارك وتعالى أو يرزقه. قال ا تبارك وتعالى: (فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ) (العنكبوت/ 17). فيضع المرء في ذهنه أن ا تبارك وتعالى تكفّل برزقه، وضّمّنه له يدعو ربّه تبارك وتعالى أن يرزقه.

إنَّ الإيمان بأنَّ الله تبارك وتعالى هو الرزاق يسمو بالإنسان ويرتقي بروحه عن التعلق بالوسائل والأسباب (كالوالد المعيل، والعمل في الزراعة مثلاً)، ولا ينظر إليها باعتبارها رازقةً له وإنما هي مرزوقةٌ مثله وواسطةٌ لأن يرزقه الله تعالى بواسطتها، ولا يعطيان من الأهمية أكثر ذلك فلا يخضع لها ولا يتذلل إليها باعتبارها نافعةً ومصدرَ رزقه وإنَّه لا يخضع ولا يتذلل إلا لله تعالى. فإن كانت هذه الوسائل قد دعت إلى مخالفة أمر الله تعالى، لا يستجيب، وإن هددته بقطع المال والطعام وخلافه، لا يلين لأنَّه يوقن أنَّه إن كان له رزقٌ فسيأتيه عبر هؤلاء أو عبر غيرهم وإن لم يكن له رزقٌ فلم يفته شيء فيعيش الإنسان في كرامة العبودية لله وحده ولا يخضع للاستعباد الخلق. ►